حكايات تراثية

٦

صقور تخطف الأطفال

الدكتور
محمد عمر الحاجي

رسوم : إياد عيساوي

الطبعة الأولى

جميع الحقوق محفوظة

يمنع طبع أو إخراج هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي شكل من أشكال الطباعة أو النسخ أو التصوير أو الترجمة أو التسجيل المرئي والمسموع أو الاختزان بالحاسبات الالكترونية وغيرها من الحقوق إلا بإذن مكتوب من دار المكتبي بدمشق .

دار المكتبي
للطباعة والنشر والتوزيع
www.almaktabi.com

سورية ـ دمشق ـ حلبوني ـ جادة ابن سينا
ص.ب ٣١٤٢٦ ـ هاتف : ٢٢٤٨٤٣٣ ـ فاكس : ٢٢٤٨٤٣٢
e-mail: almaktabi@mail.sy

وفِي مَعْرِضِ الكِتَابِ

بَعْـدَ أَنْ شَـاهَـدَ (سَلِيْـمٌ) دِعَـايَـةَ مَعْرِض الكِتَابِ عَبْرَ شَاشَاتِ وَسَائِلِ الإِعْلامِ؛ اتَّصَلَ هَاتِفيّاً مَعَ صَدِيْقِهِ (أيْمَنَ) واتَّفَقَا عَلَىٰ أَنْ يَذْهَبا في مَسَاءِ يَوْمِ الإِثْنَيْنِ لِزِيَارَةِ المَعْرِضِ وَشِرَاءِ مَا

يَرَاهُ كُلٌّ مِنْهُمَا مُفِيْداً وَ نَافِعاً.

وَلَمَّا كَانَ مَسَاءُ الإِثْنَيْنِ انْطَلَقَ (سَلِيْمٌ) باتِّجَاهِ بَيْتِ (أَيْمنَ). وَوَصَلَ إِلىٰ بَيْتِه ، قَرَعَ البَابَ فَخرجَ الأَخُ الصَّغِيْرُ (أَحْمَدُ) وَقَدْ لَبِسَ الثِّيَابَ الجَدِيْدَةَ.

فَلَمَّا رَآهُ (سَلِيمٌ) سَأَلَهُ: إِلىٰ أَيْنَ يَا أَحْمَدُ؟ أَرَاكَ تَلْبَسُ الثِّيابَ الجَدِيْدَةَ! إِلىٰ أَيْنَ أَنْتَ ذَاهِبٌ؟

ضَحِكَ (أَحْمدُ) وَقَالَ: كَأَنَّكَ لا تَعْرِفُ إِلىٰ أَيْنَ؟! أَنَا ذَاهِبٌ إِلىٰ المَكَانِ

نَفْسِهِ الَّذِيْ أَنْتَما ذَاْهِبَانِ إِلَيْهِ ، فَهَلْ تَظُنُّ أَنِّي صَغِيْرٌ لا أَفْهَمُ؟!

...ومَا هِيَ إلا دَقَائِقُ حَتَّىٰ تَوَجَّهَ (سَلِيْمٌ) وَ (أَيْمَنُ) وَ (أَحْمَدُ) إِلَىٰ مَعْرِضِ الكِتَابِ ، وَلمَّا وَصَلُوا إليه راحُوا يَتَجَوَّلُونَ بَيْنَ المَكَاتِبِ ، ويَتَفرَّجُونَ عَلَىٰ آخِرِ الإِصْدَارَاتِ ، وخَاصَّةً الَّتي تَتَعلَّقُ بِالأَطْفَالِ.

وَمَرَّ الوَقْتُ المَسَائِيُّ المُخَصَّصُ لِلزُّوَّارِ بِسُرْعَةٍ كَبِيْرةٍ! بحَيْثُ لَمْ

يَسْتَطِيْعُوا التَّجْوَالَ إلا في نِصْفِ المَعْرِضِ!

وَكَانَ (سَلِيْمٌ) قَدِ اشْتَرَىٰ ثَلاثَةَ كُتُبٍ ، بَيْنَمَا اشْتَرىٰ (أَيْمَنُ) خَمْسَةً مِنَ الكُتُبِ ، وَأَمَّا (أَحْمَدُ) فَقَدِ اشْتَرىٰ بَعْض الأَلْعَابِ ، مَعَ بَعْضِ القِصَصِ.

وَفي طَرِيْقِ العَوْدَةِ تَعَاهَدَ (سَلِيم) مَعَ صَدِيْقِهِ (أَيْمَن) عَلَىٰ أَنْ يَقْرَأ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا الكُتُبَ الَّتي اشْتَرَاهَا ، ثُمَّ يَتَبَادَلاهَا فِيْمَا بَيْنَهُمَا ، عَسَىٰ أَنْ تَعُمَّ الفَائِدَةُ ، وَالنَّفْعُ ، ثُمَّ أَنْ يَخْتَارَ كُلٌّ

مِنْهُمَا أَفْضَلَ ما وَجَدَ ، وَيُدَوِّنَهُ في دَفْتَرٍ ، ثُمَّ يَقْرَأه عَلىٰ الأَصْدِقَاءِ في إِحْدَىٰ السَّهرَاتِ.

وَبِالفِعْل ، هَذَا مَا حَدَثَ ، فَقَدْ وَفَّىٰ كُلٌّ مِنْهُمَا بِمَا وَعَدَ ، وَفِي سَهْرَةٍ دَوْرِيَّةٍ ضَمَّتْ غَالِبِيَّةَ الأَصْدِقَاءِ ، كَانَ مَا يَلِي:

حِكَايَةُ الصَّدِيْقَيْنِ!!

وَابْتَدَأَ (سَلِيْمٌ) السَّهْرَةَ بِقَوْلِهِ: يَا أَصْدِقَائِي الأعزَّاءَ! لَقَدْ قُمْتُ بِشِرَاءِ بَعْضِ الكُتُبِ مِنَ مَعْرِضِ الكِتَابِ ، وخِلالَ بَعْضِ الأيَّامِ قَرَأْتُ مَا فِيْهَا ،

وَهَا أَنَذَا أَرْوِيْ لَكُمْ أَفْضَلَ حِكَايَةٍ مَرَّتْ مَعِيْ ، فَفِيْهَا العِبَرُ ، والعِظَاتُ:

كَانَ يَا مَا كَانَ ، كَانَ في قَدِيْمِ الزَّمان: اسْتَوْدَعَ تَاجِرٌ عِنْدَ صَدِيْقٍ لَهُ قِنْطَارِيْنِ مِنَ الحَدِيْدِ ، ثُمَّ ذَهَبَ لِيَسْتَثْمِر أَمْوَالَهُ في أَحَدِ البُلْدَانِ ، وَلمَّا عَادَ سَأَلَ صَدِيْقَهُ عَنِ الحَدِيْدِ ، فَتَظَاهَرَ بِالأَسَفِ ، وَقَالَ لَهُ:

يَا صَدِيْقِي العَزِيْز! أَمَّا الحَدِيْدُ؛ فَقَدْ الْتَهمَتْهُ الأَرْضُ ، كَمَا تَلْتَهِمُ النَّارُ الحَطَبَ ، وَإِنِّيْ آسِفٌ لِمَا حَدَثَ ، وَلَوْ

كَانَ بِمَقْدُوْرِيْ أَنْ أُبْعِدَ ذَلِكَ عَنْ حَدِيْدِكَ؛ لَفَعَلْتُ!

وَنَظَرَ التَّاجِرُ إلىٰ صَدِيْقِهِ وَهُوَ مُوقِنٌ: أَنَّهُ قد غَدَرَ بِهِ ، فَتَظَاهَرَ بِتَصْدِيْقِهِ ، وَقَالَ لَهُ: إِنِّي سَمِعْتُ قَبْلَ ذَلِكَ: أَنَّ الأَرْضَ تَأْكُلُ الحَدِيْدَ ، وَلَكِنْ لا جَدْوَىٰ مِنَ النَّدَمِ الآنَ.

ثُمَّ خَرَجَ مِنْ عِنْدِهِ وَهُوَ يُفَكِّرُ في رَدِّ تِلْكَ الخِيَانَةِ العَظِيمَةِ.

وَبَيْنَما هُوَ سَائِرٌ في طَرِيْقِهِ إِذَا بِهِ يَلْحَظُ طِفْلاً صَغِيْراً ، فَسَأَلَ عَنْهُ ،

فَقِيْلَ: هَذَا وَاحِدٌ مِنَ أَوْلادِ التَّاجِرِ الفُلانِيِّ.

فَمَا كَانَ مِنَ التَّاجِر إلا أنْ حَمَلَ الوَلَدَ الصَّغِيْرَ، وَقبَّلَهُ، وَهُوَ يَقُوْلُ: أَنْتَ ابْنُ صَدِيْقِي التَّاجِر، تَعَالَ إليَّ فَسَآخُذُ حَقِّي مِنْ أَبِيْكَ!!

وَلَمَّا وَصَلَ التَّاجِرُ إلىٰ البَيْتِ؛ وَضَعَ الوَلَدَ في مَكَانٍ مُظْلِمٍ، وَأَوْصَدَ الأَبْوَابَ تَمَامَاً.

وَلمَّا خَيَّمَ ظَلاَمُ اللَّيْلِ ضَجَّتْ وَالِدَةُ الغُلامِ، وَرَاحَتْ تَبْحَثُ عَنْهُ في الأَزِقَّةِ

والشَّوارِع ، وَلَكِنَّها لَمْ تَجِدْهُ.

فَأَرْسَلَتْ إلى وَالِدِهِ مِنْ يُبْلِغُهُ بِذٰلِكَ ، فَجَاءَ وَالِدُهُ مُسْرِعاً ، وَلَمَّا أَخْبَرَتْهُ بِعَدَم عَوْدَةِ الوَلَدِ؛ رَاحَ الرَّجُلُ يَبْحَثُ كَالمَجْنُوْنِ ، يَدْخُلُ في شَارع ، ويَخْرُجُ مِنْ آخَرَ... وَلَكِنْ دُوْنَ أَدْنىٰ فَائِدَةٍ!

وَقُبَيْلَ مُنْتَصَفِ اللَّيْلِ التَقىٰ التَّاجِرُ بِصَدِيْقِهِ التَّاجِر ، فَسَأَلَهُ: هَلْ رَأَيْتَ وَلَدِيْ؟ أَمْ هَلْ سَمِعْتَ: أَنَّ أَحَداً قَدْ وَجَدَهُ؟ فَقَالَ الصَّدِيْقُ مُتَبَاكِياً: لَقَدْ

رَأَيْتُ صَقْراً كَاسِراً يَهْبِطُ عَلَيْهِ وَيَلْتَقِطُهُ بَيْنَ أَظَافِرِهِ كَمَا يَلْتَقِطُ الفَرْخَ الصَّغِيْرَ ، وَلَقَدْ ظَلَّتْ عَيْنَايَ تُلاحِقُهُ حَتَّى غَابَ عَنِّي في الأَجْوَاءِ!!

وَلمَّا سَمِعَ التَّاجِرُ مَا قَالَهُ صَدِيْقُهُ رَاحَ يَلْطِمُ وَجْهَهُ ، ويَهْذِيْ ، وظَلَّ يَصْرُخُ ، ويَصْرُخ حتَّىٰ اجْتَمَع حَوْلَهُ النَّاسُ ، فَقَالَ لَهُمْ: هَلْ سَمِعْتُم: أَنَّ الصُّقُوْرَ تَخْطِفُ الأَطْفَالَ؟

فَتَقَدَّمَ صَدِيْقُهُ التَّاجِرُ ، وَقَالَ لَهُ: يَا صَدِيْقِيْ! إِنَّ الأَرضَ الَّتي بِمَقْدُوْرِهَا أَنْ

تَأْكُلَ الحَدِيْدَ لَيْسَ بِكَثِيرٍ علىٰ صُقُوْرِهَا أَنْ تَخْطِفَ الفِيلَةَ ، فَضْلاً عَنِ الأَطْفَالِ.

وَقَهْقَهَ النَّاسُ مِنْ قَوْلِ التَّاجِر ، وَلَكِنَّ صَدِيْقَهُ فَهِمَ مَاذا يَعْني تَماماً ، فَتَقَدَّمَ مِنْهُ ، وَقَبَّل بَيْنَ عَيْنَيهِ ، وَقَالَ لَهُ: لَقَدْ بِعْتُ حَدِيْدَكَ ، وَهَذَا ثَمَنُهُ ، فَأسْتَحْلِفُكَ بِاللهِ أَنْ تَرُدَّ إلَيَّ ابْنِي ، فَهُوَ قُرَّةُ عَيْني ، ومُتْعَةُ حَيَاتِيْ...!!!

عَاقِبَةُ القِرْدِ عَلَىٰ الخَشَبَةِ!!

وَسَعِدَ الأَصْدِقَاءُ بِتِلْكَ الحِكَايَةِ المُفِيْدَةِ ، وَرَاحُوا يُعَلِّقُوْنَ عَلَيْهَا ،

وَذَلِكَ مِنْ خِـلالِ مَا فِيْهَـا مِنْ عِبَـرٍ ، وعِظَاتٍ.

ثُمَّ طَلَبُوا مِنْ صَدِيْقِهِمْ (أَيْمَنَ) أَنْ يَرْوِيَ لَهُمْ حِكايَةً قَرَأَهَا مِنَ الكُتُبِ الَّتِي اشْتَرَاها مِنْ مَعْـرِضِ الكِتَـابِ ، فَوَافَقَ عَلَـىٰ ذٰلِـكَ ، ورَاحَ يَحْكِـيْ لَهُـمْ هٰـذِهِ الحِكايَةَ القَصِيرَةَ المُفِيْدَةَ:

زَعَمُوا: أَنَّ قِرْداً رَأَىٰ نَجَّاراً يَشُقُّ عَمُوْدَ خَشَبٍ بالمِنْشَارِ ، وَكَانَ النَّجَّارُ يَرْكَبُ عَلَىٰ العَمُودِ ، فَقَالَ القِرْدُ: وَلِمَاذَا لا أَفْعَلُ مَا يَفْعَلُهُ النَّجَّارُ؟!

ثُمَّ إِنَّ النَّجَّارَ ذَهَبَ لِبَعْضِ شَأْنِهِ ، فَقَامَ القِرْدُ إلىٰ مَكَانِ النَّجَّارِ ، فَرَكِبَ عَلىٰ العَمُوْدِ ، وَجَعَل ظَهْرَهُ قِبَل الوَتدِ ، وَوَجْهَهُ قِبَلَ الخَشَبَةِ ، فَتَدَلَّىٰ ذَنبُهُ في الشَّقِّ ، وَنَزَعَ الوَتد فلَزِمَ الشَّقُّ عَلَيْهِ فَخَرَّ مَغْشِيَّاً عَلَيْهِ.

وَلَمَّا عَادَ النَّجَّارُ وَرَأَىٰ مَا عَلَيْهِ القِرْدُ؛ لَمْ تَأْخُذْهُ بِهِ رَأْفَةٌ ، وَإِنَّمَا أَمْسَكَ بِعَصَا ، وَأَخَذَ يَضْرِبُهُ ضَرْباً مُبَرِّحاً حتَّىٰ أَثْخَنَهُ بالجِرَاحِ ، فَكَانَ الأَلَمُ الَّذِي عَانَاهُ مِنْ ضَرْبِ النَّجَّارِ أَقْسىٰ مِنَ الأَلَمِ

الَّذِيْ عَانَاهُ مِنْ عَمُوْدِ الخَشَبِ!! وَفَرِحَ الأَوْلادُ بِذَلِكَ ، وتَمَنَّوا أَنْ تَتَكرَّر مِثْلَ تِلْكُمُ الفِكْرَةِ المُفِيْدَةِ....

وَالحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالمِيْنَ

* * *